المنهج النبوى فى القيادة والإدارة -15

كيف انشأ رسول اللّه مؤسسات الدولة الإسلامية ؟ (1)

نشر بتاريخ 29 إبريل 2021

بقلم: الدكتور زكريا خنجي

قلنا بالأمس إن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم تمّكن من تكوّين الدولة الإسلامية الجديدة من خلال العديد من المؤسسات التنظيمية، وذات المنهجيات العلمية التي كانت سادت في ذلك الوقت، ولم يكتفي بذلك وإنما أضاف إليها العديد من الإضافات وكذلك غلفها بالمنهج والطابع الإسلامي حتى تصبح أساس مهم لكيان جديد وهو الدولة الإسلامية المستقبلية.

سنحاول أن نتعرف على بعض من تلك المؤسسات وتلك التنظيمات، وهي كالتالي:

إنشاء المسجد: يمكن أن يلاحظ أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم حرص كل الحرص منذ لحظة دخوله المدينة المنورة على إنشاء وبناء مسجد، لماذا؟

في الحقيقة يحتل المسجد في المجتمع والدولة الإسلامية أعلى مكانة، فهو مكان العبادة بالدرجة الأولى، ومكان طلب العلم، ومكان لقاء المسلمين، كما كان هذا المسجد – مسجد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم – يقع في مركز المدينة، حيث كان يتوسط المدينة المنورة، بالإضافة إلى

أنه من خلال هذا المسجد انطلقت الجيوش الإسلامية تجوب الأرض، وفيها عقدت كل الصفات التجارية والمعاهدات الفردية والدولية وعقود الزواج، هذا يعني أن المسجد كان حياة المسلمين في ذلك الوقت. فقد قال تعالي في الحديث القدسي "إن بيوتي في أرضي المساجد، وإن زواري فيها عمّارها، فطوبى لعبد تطهر في بيته، ثم زارني في بيتي، فحق على المزور أن يكرم زائره" رواه الطبراني عن ابن مسعود.

فكان المسجد هو مقر الحكومة الإسلامية، وفيه كان يجلس الرسول صلى اللّه عليه وسلم للناس، ويستقبل الوفود ويحكم بينهم، ويفقههم في أمور دينهم، وفيه كان مسكنه في حجرات خاصة، وهذا يعني أن المسجد كان مجلس للشورى، وقاعة للقضاء، وقاعة للمناسبات الاجتماعية، ومأوى لمن لا سكن له، حياة لمن لا حياة لهم، فكان لوجود المسجد كمركز للمدينة والدولة أهمية كبيرة إذ يتمكن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم من خلاله إدارة الدولة، ويستطيع المواطنون الالتقاء بالقائد الأول دون عناء الحرس والعسس والحواجز، ففي المسجد لا حواجز ولا حدود.

دستور المدينة: نظم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم العلاقات بين سكان المدينة، وكتب في ذلك كتابًا اصطلح عليه باسم دستور المدينة أو الصحيفة، واستهدف هذا الكتاب توضيح التزامات جميع الأطراف داخل المدينة من مهاجرين وأنصار ويهود، وتحديد الحقوق والواجبات، كما نص على تحالف القبائل المختلفة في حال حدوث هجوم على المدينة. وعاهد فيها اليهود ووادعهم وأقرّهم على دينهم وأموالهم. وقام بتغيير اسمها

من يثرب إلى المدينة، احتوت الوثيقة 52 بندًا، 25 منها خاصة بأمور المسلمين و27 مرتبطة بالعلاقة بين المسلمين وأصحاب الأديان الأخرى، ولا سيما اليهود وعبدة الأوثان، وهذا هو التنظيم السياسي الذي قامت عليه الدولة الإسلامية وعلاقتها مع الآخرين.

تنظيم الجبهة الداخلية وذلك بالتماسك الداخلي بين أفراد شعب المدينة؛

وذلك بأن آخى بين المهاجرين والأنصار بعد دخوله المدينة، فقال لهم صلى اللّه عليه وسلم "تآخوا في اللّه أخوين أخوين"، فكان الأنصار يقتسمون أموالهم وبيوتهم مع المهاجرين، وكانوا يتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام إلى حين غزوة بدر، فرد التوارث إلى ذوي الرحم وبقيت الأخوّة.

حيث أن التماسك الداخلي كان ضروريًا – في ذلك الزمن وكل الأزمان – فقد كانت الحروب تنشب بين الأوس والخزرج لأتفه الأسباب، وكان اليهود سببًا دائمًا في هذه التفرقة والفرقة وقد نجحوا في خططهم واشتعلت الحروب الطاحنة بين الأوس والخزرج، واستمرت قرابة مائة وعشرين عامًا، ولم تنته هذه الحرب إلا عند هجرة النبي محمد صلى اللّه عليه وسلم إلى المدينة. وهذا يعني أنه صلى اللّه عليه وسلم أنشأ جوًا من الأمن والأمان الاجتماعي، بالإضافة إلى أن توحيد الصف الداخلي يوفر فرصة كبيرة لإنشاء الأسواق وتنمية الاقتصاد وإنشاء الأسر والمجتمعات السعيدة المستدامة.

السوق والاقتصاد؛ لم يهمل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم التجارة والسوق والاقتصاد، فالتحكم في الأموال والسيولة المادية التي تنظم الحياة الإنسانية لا يستطيع أن يتركها بين أيدي غير المسلمين، وخاصة إن في المسلمين عدد من الصحابة التي كانت التجارة جزء من حياتهم قبل الهجرة وقبل الإسلام، لذلك توجه لإنشاء سوق المدينة وبالتالي امتلك الاقتصاد الخاص بالدولة الإسلامية وذلك بعيداً عن الاقتصاد غير الإسلامي.

هذا بالإضافة إلى أن الدولة الإسلامية كان لها ميزانيتها الخاصة، أودعها بيت مال المسلمين وذلك على الرغم من بساطة تلك الميزانية، وكان الفيء يقسم على المسلمين حاضري الموقعة، ومن المهم الإشارة إلى أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أراد إحصاء الناس تمهيداً لإنشاء الديوان إلا أنه لم ينشأ إلا في عصر الفاروق عمر رضي اللّه عنه.

وما زال للحديث بقية،،